فـأمّـا الـقَـائِـلُـونَ: هِـزَبْـرُ قَـوْمٍ،
فَـذاكَ الـفَـخْـرُ، لا شـرَفُ الـجُـدودِ[١]
وَأمّـا الـقَـائِـلُـونَ: قَـتـيـلُ طَـعْـنٍ،
فَـذَلِـكَ مَـصْـرَعُ الـبَـطَـلِ الـجَـلـيـدِ[٢]

وعدنا بالنهاب وبالسبايا

قال في إغارته على بني كندة وخثعم:

[الوافر]

صَـحَـا مِـنْ بَـعْـدِ سَـكْـرَتِـهِ فُـؤادي
وَعَـاوَدَ مُـقْـلَـتـي طِـيـبُ الـرُّقَـادِ[٣]
وَأصْـبَـحَ مَـنْ يُـعَـانِـدُنـي ذَلـيـلاً،
كَـثـيـرَ الـهَـمّ، لا يَـفْـدِيـهِ فـادي[٤]

= عبس، فسيجعل سيفه يخوض في رقاب الأسود من الأعداء فيبدو كالأرجوان لما عليه من دماء، وهو يدافع عن عزّ مملكة شامخة المجد من بني عبس، وهم يشهدون له بحسن فعاله في المعركة.

(١)، (٢) والناس يختلفون، وهم في حيرة من شدّة بأس عنترة، بين قائل: إنه الأسد الهصور، معبّرين عن إعجابهم وحبهم له. وهنا فخره أنه بنى لنفسه صرحاً شامخاً في فن البطولة، ومن الناس من يقول: إن عنترة لا محالة قتيل إذا بقي يقاتل على هذا المنوال ذلك هو مصرع بطل يجالد أعداءه بشجاعة.

(٣)، (٤) لقد تخلّص الشاعر من هموم أسكرته، فإذا بقلبه تُعاوده صحوة تساعده على البقاء مستريح البال بحيث يعرف طعم النوم بعدما كان لا يستطيعه، ويبقى طوال ليله مسهداً، وذلك أنه قضى على أعدائه، ولم =

يَـرَى فـي نَـوْمِـهِ فَـتَـكَـاتِ سَـيْـفـي
فَـيَـشْـكُـو مَـا يَـرَاهُ إلـى الـوِسَـادِ[١]
ألا يـا عَـبْـلَ! قَـدْ عَـايَـنْـتِ فِـعْـلـي
وَبَـانَ لَـكِ الـضَّـلالُ مِـنَ الـرَّشَـادِ[٢]
وَإنْ أبْـصَـرْتِ مِـثْـلـي فـاهْـجُـرِيـنـي،
وَلا يَـلْـحَـقْـكِ عَـارٌ مِـنْ سَـوَادِي[٣]
وَإلا فَـاذْكُـرِي طَـعْـنـي وَضَـرْبـي،
إذا مَـا لَـجّ قَـوْمُـكِ فـي بِـعَـادِي[٤]
طَـرَقْـتُ دِيَـارَ كِـنْـدَةَ، وَهْـيَ تَـدْوِي
دَوِيَّ الـرّعْـدِ مِـنْ رَكْـضِ الـجِـيـادِ[٥]
وَبَـدّدْتُ الـفَـوَارِسَ فـي رُبَـاهـا
بِـطَـعْـنٍ مِـثْـلِ أفْـوَاهِ الـمَـزَادِ[٦]

= يفدهم عنادهم، فإذا بعنترة يجرّعهم غصص الذلّ والمهانة، فباتوا يُساهرون الهموم ولا يجدون من يُعينهم على الخلاص ممّا هم فيه من آلام الذلّ.

(١) إنهم يلاحقهم كابوس مقلق؛ إنها ضربات سيف عنترة، وإذا ما حاولوا النوم لم يجدوا من يشكون له همومهم سوى الوسائد التي يتوسّدونها، وهي لا تعي جواباً.

(٢)، (٣) يخاطب الشاعر عبلة، وقد عرفت حقيقة البطل، ووجدت غير ما علمت من أعدائه الشانئين الحاسدين، لذا يطلب منها أن تقارن بينه وبين غيره ممن يدّعي البطولة، فإن عثرت على شبيه له، فلا بأس من هجره؛ والسواد لا يجلب عاراً وقد كان سبيلاً لحريته.

(٤) وإن لم تجد شبيهاً، ولن تجد، فعليها أن تتذكّر هول طعنه وفعله في أعدائه. إنها مشكلتي مع أهلها الذين تمادوا في كرهه، وجحود ما عليه من مكارم الأخلاق وحسن الصفات.

(٥)، (٦) يذكر الشاعر لعبلة سارداً ما فعله بالأعداء؛ فقد فاجأ كندة، وهم نيام =

وَخَـثْـعَـمُ قَـدْ صَـبَـحْـنـاهـا صَـبـاحـاً
بُـكُـوراً قَـبْـلَ مَـا نَـادَى الـمُـنـادِي[١]
غَـدَوْا لَـمّـا رَأَوْا مِـنْ حَـدّ سَـيْـفـي
نَـذيـرَ الـمَـوْتِ فـي الأرْوَاحِ حـادِي[٢]
وَعُـدْنَـا بـالـنِّـهَـابِ وَبـالـسَّـبَـايـا
وَبـالأسْـرَى تُـكَـبَّـلُ بـالـصّـفَـادِ[٣]

يا عبل ضيعت العهود

[الوافر]

ألا يـا عَـبْـلَ! ضَـيَّـعْـتِ الـعُـهُـودا،
وَأمْـسـى حَـبْـلُـكِ الـمـاضـي صُـدُودا[٤]

= بجياد تجلب جلبة كدوي الرعد لكثرة الفرسان، فإذا بفرسانها يفرّون من حسن بلاء الشاعر بهم في ربى تلك الديار، وهو لا يتوانى يلاحقهم يطعن بالفارّين منهم، فإذا بدمائهم تنهمر كأنها قرب فتحت أفواهها.

(١)، (٢) وكذلك يذكر الشاعر ما حلّ بقبيلة خثعم، فقد باكرها مع طلوع الفجر، وقد سبق المنادي القوم للاستعداد لردّ الغارة، ولكن فقد فات الأوان، وذلك أن الخوف من سيفه جعلهم لا يدرون ما يفعلون ولذلك غنّى الحادي غناء الموت الحزين في ربوعهم.

(٣) وكانت النتيجة انتصاراً عظيماً، وقد حمل بنو عبس الأسلاب والسبايا من النساء، والأسرى معهم، وهم في حالة ذلّ وهوان، قد قيّدوا بالحديد والأصفاد.

(٤) ينبّه الشاعر عبلة إلى ما حلّ بهما بعد ما كان بينهما من ودّ وحبّ؛ لقد ضيعت ذكريات حلوة، وما عاد للعهود من معنًى، وحلّ مكانها هجر وبعد؛ وهذا ما يجعل الشاعر يقاسي من آلام الحرمان ونكران الحبّ الصادق.